الفصل الثامن

شخصية الطفل المعوق ذهنيا

سيكولوجية الطفل المعوق ذهنيا:

يعانـى الطفل المعوق ذهنيـا ألوانا مختلفة من المعانـاة مثل: القلق. التوتر أو الشـعور بالدونية أو الشـعور بالتعاسـة، وعدم القدرة على التوازن وكذلك عدم الشعور بالأمن أو الرضا.

وهذه كلها مشـاعر خاصة يشعر بها صاحبها بدرجات متفاوتة تبعًا لتركيب شـخصيته، وتبعا للاستجابات المختلفة التى يحصل عليها فى مختلف علاقاته فى محيط المجتمع الذى يعيش فيه.

ومما لا شـك فيـه أن هذه المشـاعر تجعله يبدد الكثيـر من طاقاته النفسـية التى كان يفترض أن ينتفع بها، ويوجهها إلى نواحى النشاط الأخرى لصالحه وصالح المجتمع.

تأثير الإعاقة الذهنية على شخصية الطفل:

إذا حـدث اضطراب فى شـخصية الطفل المعوق فـإن نوعه ودرجته يتوقفـان على عوامـل مختلفة ومع ذلك، فهناك شـىء واحد يجب أن نعلمه وهو:

أنــه لا يوجد اثنان يســتجيبان بشــكل واحد لنوع واحــد من الإعاقة الذهنية، وعندما يحدث اضطراب عاطفي فإنه لا يكون متناســبا مع شدة الإعاقة فقد يســتطيع شخص يعاني من حالة إعاقة ذهنية شديدة أن يقوم بتكيف ممتاز، بينما نجد شخصا آخر يعاني من حالة إعاقة ذهنية أبسط بكثير من حالته الأولى، ولكن تكيفه الاجتماعي يكون أقل بكثير.

مصادر اضطراب شخصية الطفل المعوق ذهنيا:

إذا وجــدت اضطرابات في شــخصية الطفل المعــوق ذهنيا فقد تكون ناشئة عن أسباب ثلاثة:

الأول: رد الفعــل عند الطفــل لكونه مختلفا عــن الناس الآخرين، وتكون الفرص أمامه محدودة.

الثاني: تأثير معاملة الوالدين له، وطبيعة خبراته الاجتماعية.

الثالث: تعطل جزء من المخ يؤثر في السلوك.

ويجب أن نؤكد أن الحالات التي تتسبب عن الأخيرة قليلة.

إن معظم اضطرابات الشخصية للابن المعوق ناشئة عن عوامل نفسية. وغالبــا ما تتوقــف طبيعة الاضطراب في الشــخصية إلى حد كبير على ســن الطفل. وقد يتخذ هذا الاضطراب عنــد الطفل الصغير صورة مقاومة للعلاج.

أسباب مقاومة الطفل المعوق ذهنيا للعلاج:

١ – عدم نموه اجتماعيا وانفعاليا، ويحتاج إلى فترة زمنية، كما هو الحال في النمو الجسمي أو العقلي.

٢ – قد يكون مجرد عدم اهتمام، أو اهتمام أكبر بأشياء أخرى، وربما يكون هذا أمرا صحيحًا.

٣ – ويعتبر عدم اهتمام الطفل اهتمامًا زائدًا بحالة عجزه أو معالجتها أو شعوره بالقلق تجاهها ظاهرة صحية.

الإعاقة الذهنية.. والاستجابة النفسية للطفل:

على رغم أنه من المستحيل أن نصدر أحكامًا عامة بالنسبة للأطفال المعوقين ذهنيا، لأن كلا منهم يختلف عن الأخر، كما هى الحال بالنسبة لجميع الأطفال. فإنهم يتفقون فى بعض الاستجابات النفسية وهى:

١ - الاستياء الذى يظهر على شكل ثورة:

فالطفل الذى يستاء من تحديد مجالات نشاطه يثور على والديه وعلى أى مصدر للسلطة. ويمكنه أن يفعل ذلك بدون رادع لأنه معوق ذهنيا، ولأن أنواع العقاب التى يمكن للوالدين أن يستخدماها معه محدودة.

ولذلك: يجب أن يحاول الوالدان الاعتراف بحاجات الطفل النفسية من جهة وإدراك أنه ليس من صالح الطفل المعوق ذهنيًا أن يتعود على رفض النظام من جهة أخرى، وتبعا لدرجة الإعاقة الذهنية التى يعانيها الطفل وسنه، واستعداده للفهم.. يجب أن يضع الوالدان مقاييس تأديبية، لا تكون شديدة لكنها متناسبة مع نوع الذنب الذى إرتكبه.. والموقف الذى يحدث فيه ذلك.

٢ - التواكل الزائد على الآخرين:

إن التواكل الزائد هو من السمات الشائعة عند الأطفال المعوقين ذهنيا. فالطفل يخاف أن يحاول القيام بأى شيء. وهذا الخوف لا يكون موجودا منذ البداية، وإنما ينمو فيه نتيجة لميل الوالدين والمتخصصين لحمايته.

وكثيرا ما يظهر الطفل المعوق فى البداية استعدادًا لمنافسة أقرانه، ولكن الكبار يميلون إلى منع عنصر المنافسة من حياته، مخافة أن يتعرض لفشل قد يؤدى إلى الاكتئاب النفسى، أو يصيبه بأضرار جسيمة.

فعلى الوالدين: إتاحة الفرصة للطفل المعوق ذهنيا للمحاولات المتكررة كى يستطيع أن يتقدم. ويجب التذكر أنه أثناء نمو قدرة الطفل على القيام بأعمال معينة، فإن الفشل الذى يصيبه اليوم، قد يتحول إلى نجاح فى الغد. فعند نقطة معينة فى أثناء جهود الطفل المتكررة يصبح قادرًا على فعل الشيء الذى لم يستطع أن يفعله من قبل.

ومن غير المحاولات المتكررة لا يستطيع الطفل المعوق ذهنيًا أن يتقدم.

- إن الوالدين فى حرصهما على سلامة الطفل المعوق ذهنيا وراحته، أقل ميلا لقبول الفشل والزلات والأخطاء منهما فى حالة الطفل السوى.
- وإذا أبقينا على القيود التى تحد من نشاط الطفل المعوق ذهنيا، كما يشير الطبيب بدون إعادة النظر فيها أو تعديلها، فإن امكانيات الطفل لن تنمو إلى أقصى حد لها.

لذلك فمن الواجب إتاحة الفرصة للطفل المعوق ذهنيا للمحاولة حتى لو تكرر فشله، ولإيضاح ذلك فإنه من الأصلح للطفل أن يحاول ويفشل بدلا من ألا يحاول أبدًا على الإطلاق. وتحقيق ذلك طبعا بالنسبة للطفل المعوق ذهنيًا أكثر صعوبة من الطفل السوى. لأن هناك بالنسبة للأخير توافقًا ذهنيًا صالحًا بين دوافع الطفل للقيام بأشياء جديدة ونمو قدرات جديدة مناسبة للجهود التى يبذلها فى ذلك وهذا التوافق الذهنى لا ينتظم عند الطفل المعوق ذهنيا.. وهو لذلك أقل قدرة على تمييز ما ينبغى أن يفعله وأى المحاولات التى يمكن أن ينجح فيها.

ومع إدراكنا أنه سيفشل فى أغلب الأحيان، يجب أن نعمل على ألا نثبط همته نتيجة محاولاته القيام بأشياء كثيرة لا يستطيع أن ينجزها.

- يتكون لدى الطفل المعوق ذهنيا فكرة بأن العالم مدين له بكل شىء وليس عليه أن يقدم شيئا مقابل ذلك.

يرجع ذلك إلى ميل الآباء – نتيجة الشعور بالمسئولية الشخصية – أن يقدموا للطفل أكثر مما ينبغى، مما يتعارض مع صالحه، ويعوق نموه وتقدمه.

ولذلك لا يستطيع الطفل أن يصبح شخصا مستقلا معتمدًا على نفسه يواجه مشاكل الحياة بشىء من التفكير المنطقى الموضوعى.

- إحساس الطفل بالضجر والتبرم وزيادة الاستياء وأحيانًا بالهياج.

ويرجع ذلك إلى شعور الوالدين بالإحباط والخجل والذنب، ورغبتهما في أن يقدما لطفلهما المعوق ذهنيا أكثر مما يحتاج إليه، وخوفهما المستمر عليه من الفشل.

وغالبًا ما تؤدى هذه المشاعر المضغوطة إلى الإضرار بالوالدين والطفل المعوق والأطفال الآخرين.

ومع ذلك فإن التفهم الأحسن للموقف، ولمشاعر عدم لوم الذات يمكن أن يزيل الكثير من الأضرار.

مشاعر الأطفال الآخرين نحو الطفل المعوق ذهنيا:

١ - التبرم والاستياء:

إذا أهمل الأطفال الأخرون من أجل الطفل المعوق فلهم كل الحق أن يتبرموا ويستاءوا، لذلك ينبغى أن نعينهم على فهم الإعاقة الذهنية بقدر الإمكان بحيث يمكنهم أن يساعدوا الطفل المعوق.

وبطبيعة الحال يمكن توضيح للأطفال الآخرين - ليتقبلوا أخاهم المعوق - أن هناك فروقا فردية متعددة: فبعضهم طويل وبعضهم قصير - بعضهم أشقر الشعر وبعضهم أسود الشعر.. بعضهم أسود اللون وبعضهم أبيض.. وبعضهم قادر أن يفعل شيئا بمهارته أكثر من الأخرين.

وعندما تكون الإعاقة كبيرة، يجب على الأشخاص الآخرين أن يبادروا بتقديم المساعدة والمعونة عند الحاجة.

ويحتاج الطفل المعوق ذهنيا – فى نفس الوقت – لأن يتعلم كيف ينمى مهاراته بالرغم من نواحى نقصه. وبما أن ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق الخبرة وحدها، فإن من الواجب ألا يسرف الآخرون فى تقديم المساعدة.

٢ - الشعور بالخجل من الطفل المعوق:

قد تمر أوقات يشعر الإخوة بالخجل، ولا يحبون أن يرى أصدقاؤهم أخاهم المعوق، أو أختهم المعوقة.

ولكن يجب ألا يعبروا عن استيائهم منه أو منها بالكلام.

٣ - الشعور بالمحبة والاهتمام نحو أخيهم المعوق:

قد تمر أوقات كثيرة يشعر الإخوة الأخرون فيها بالمحبة نحو أخيهم المعوق والاهتمام به. ويظهرون كيف استفادوا من خبرتهم فى مساعدة الآخرين.

فى عيادة للأطفال المصابين بشلل الأطفال المصاحب للإعاقة الذهنية بسبب عطل فى المخ. أقبل ولدان أحدهما فى العاشرة من عمره، والثانى فى الثانية عشرة يحملان أختهما المعوقة التى تبلغ الثامنة، وكانت فى حالة عجز شديد من الشلل بالإضافة إلى الإعاقة الذهنية التى كانت تعانى منها.. ثم وضعاها على منضدة الفحص.. ووقفا بجوارها يهدئانها ويشجعانها، ويساعدانها على التغلب على مخاوفها.. ولم تكن الطفلة تستطيع الكلام، وعبرت عيناها عن مشاعرها، لقد كانت تنظر إلى أخويها نظرة ثقة مليئة بالحب.

لاشك أن هذين الولدين قد شبا شخصين مُتعاونين. وعلى استعداد لمعاونة الكروبين عن طيب خاطر. ولإسداء الخير لأولئك الذين كانوا أقل حظًا منهم بسبب خبرتهما مع هذه الأخت.

مشاعر المعوق ذهنيا وعلاقته ببيئته:

إن أكثر الأشياء أهمية للشخص هى العلاقة المتبادلة بين الشخص وبيئته. فأى ظروف تبعد الشخص عن بيئته مثل الفروق الملحوظة فى تكوينه، فى ذهنه أو مظهره أو وجود إعاقة جسميه أو نقص فى حواسه. كل ذلك له أثر ظاهر فى شخصيته، وفى انحرافه بدرجة كبيرة عن المألوف. نجد أنه إذا اعترف أفراد البيئة بوجود عاهة فى حواس الفرد أو ذهنه أو أعضاء حركته، فإن ذلك يكون له أكبر الأثر فى أن يتغلب المصاب على عاهته، ويؤدى وظائفه بطريقة مرضية، ويتخلص من مركب النقص.

ولكن لسوء الحظ لا يُقَدِّر المجتمع فى جميع الحالات مدى خطورة الإعاقة التى تصيب الفرد ذهنيا أو جسميًا أو حركيًا، وتكون نتيجة ذلك أن يصبح عصبيًا سريع الإثارة والغضب. ويتولد لديه شعور بالاعتراض والبغض لبيئته. ويتسم شعور الأفراد نحوه بالعطف والشفقة المصحوبين بالآسى والحسرة.

الفرق بين سيكولوجية الشخصية الطبيعية وغير الطبيعية:

الشخصية الطبيعية يمكن قياسها على أساس قدرة الشخص على تكيفه مع المجتمع الذى يعيش فيه.

وعلى العكس فالشخصية غير الطبيعية هى عدم قدرة الطفل المعوق على التكيف مع المجتمع الذى يعيش فيه.

سيكولوجية المعوق ذهنيا.. ونظرته لنفسه:

من الغريب أن المصاب يتعلق تعلقا شديدا بالأشياء التى تشعره بالنقص فيفكر فيها طويلا، ويفسرها دائما ضد نفسه.

ومن الممكن تخفيف حدة الشعور لدى المصاب بالنقص وذلك: بمساعدة الوالدين له على أن يعيش فى عالمه الواقعى، وأن يعترف بعاهته ويفكر تفكيرًا منتجًا، وأن يفكر فى تحسين حالته بكافة الطرق الممكنة فى حدود قدراته.

كى نحقق الصحة النفسية للطفل المعوق ذهنيا:

١ - ينبغى أن يعتبر كوحدة متكاملة تتألف من التكوين البيولوجى والبيئة والخبرات فهو يتعلم كيف يعبر عن نفسه ويتصل بالآخرين، ويقوم باكتشاف من يكون هو، وما الذى يستطيع أداءه ويتعلم أنماطا مقبولة من السلوك الشخصى ومهارات نابعة من بيئته المألوفة.

٢ - اعتبار كل طفل معوق ذهنيًا قابلا للتدريب:

تبين أخيرًا أن الحاجة ماسة إلى إدخال الأسس التربوية الحديثة فى برامج تعلُم الطفل المعوق ذهنيًا والقابل للتدريب. ويؤمن (كما ذكر سابقا) كثيرون من العاملين بالمدارس بضرورة اعتبار كل طفل شخصية مستقلة، ومعاملته على هذا الأساس، مع بذل الجهد لتنمية طاقاته إلى

أقصى حد – برغم أن قدراته الذهنية محدودة – ويراعى فى هذا الاتجاه تفرد كل طفل عن غيره بمميزاته الخاصة وقدراته الفردية، ومواطن الضعف به، وبيئته العائلية.. الخ.

٣ – ينبغى مراعاة الحاجات النفسية للطفل المعوق ذهنيا:

الطفل المعوق ذهنيا له نفس الحاجة العميقة – التى للطفل الطبيعى– وهى: أن يكون محبوبًا، ومرغوبا فيه، إنه يحتاج إلى الإحساس بالأمان، ويحتاج إلى أن ينتمى إلى الآخرين، وأن تكون علاقته بهم طبيعية.

كما يحتاج إلى أن يكون نشطًا مبدعًا.

فإذا توفرت هذه الحاجات، وأصبح الطفل ملما بالعالم المحيط به تظهر فيه معرفته بمن تكون هو، وبما هو قادر على أدائه.

هذه الاحتياجات التى يولد بها الطفل تكمن دائما فى وعى المدرس حين يخطط لتجارب ذات معنى للطفل كفرد، وللفصل كمجموع.

الطفل المعوق ذهنيا وحاجته للاستقلال:

يستطيع الطفل المعوق ذهنيا والقابل للتدريب أن يتعلم كيف يتصل بالآخرين، وأن يتمشى مع الأسرة والمجتمع، متمتعًا بحقوق الملكية محترما إياها، وأن يكون غير معتمد على والديه فى العناية بنفسه، واتباع العادات الصحية، والمحافظة على سلامة نفسه، وأن يساعد فى الأعمال المنزلية البسيطة. وأن يسهم فى أعمال روتينية فى ورشة أو فى أى مجال آخر مأمون.

ويجب أن يدرك الآباء والمدرسون أن هذا الطفل لن يصل أبدًا إلى الاكتفاء الذاتي بحيث يتخذ قرارات جوهرية، إنه سيظل فى حاجة إلى الإشراف، وإلى قدر معين من الرعاية، وإلى المساندة المالية طوال حياته.

الطفل المعوق ذهنيا وسلوكه:

- تنشأ عند الطفل المعوق صور مختلفة من السلوك. وينمو جسميا إذا حصل على الغذاء اللازم.
- يصبح مشاكسا، له ميول عدوانية.
- يصبح منطويًا على نفسه حين لا يستطيع أو لا يُسمح له أن يعبر عن نفسه.
- تختلف استجاباته للناس من شخص لآخر.
- كما أنه يبدى عدم رضاه عن الخبرات التى تفوق إدراكه.
- وعادة ما يكون نموه البدنى والنفسى أسرع من نموه الفكرى.

سلوك الطفل المعوق ذهنيا فى البيت والمدرسة:

يختلف سلوك الطفل المعوق ذهنيا فى البيت عن سلوكه فى المدرسة بدرجة تفوق كثيرًا ما يعتقده كل من المعلم أو الوالدين.

ففى البيت: تزداد حركات اتصاله بالآخرين، بالإضافة إلى ثورات الغضب والعناد وغيرها من السلوك غير الاجتماعى.

إن الاختلاف بين سلوك الطفل فى المنزل وسلوكه فى المدرسة يدل بوضوح على أن الأسرة كثيرا ما تضغط عليه عن غير قصد وتنتظر منه المستحيل.. الأمر الذى ينتج عنه انفجارات انفعالية.

أمـا فى المدرسـة: فغالبا ما يقبـل الطفل كما هو، ويـدرك نواحى نقصه واحتياجاته، ويجتهد أن يحول حركاته الجسمية، ومحاولاته الصوتية للاتصال إلى أوجه نشاط مقبول اجتماعيا.

الطفل المعوق ذهنيًا وحاجته إلى اللعب الحر:

اللعـب الحر يـزود الطفل بوسـيلة من أفضل الوسـائل للتعبير عن نفسـه. ويجب أن يراقب المـدرس لعب الطفل بدقـة للوصول إلى أدلة لمشكلات الطفل الخاصة. فمجرد معرفة الطفل أن له الحرية فى اختيار النشـاط الذى يروق له يزول عنه التوتر. لهذا يستحسن تخصيص فترة اللعب فى بداية اليوم. لمسـاعدة الأطفال على الترويح عن أنفسـهم بعد الرحلة إلى المدرسة. وفى هذه الفترة ينصت البعض منهم إلى الموسيقى وينشـدون على نغماتها. ويقضون الوقت بالدق بأقدامهم على الأرض، أو الرقص.. فى حين يبنى آخرون مكعبات أو يعبثون بالماء أو يتطلعون إلى الكتب المصورة.. الخ.

كيف يحاول الطفل المعوق ذهنيا الاتصال بالآخرين؟

عن طريق صوتين:

١ – الأصوات الذاتيـة والصراخ.. والأصوات الصادرة من الحنجرة، (مرحلة مبكرة).

٢ – النشاط اللفظى «مرحلة لاحقة».

وحـين يجد الطفـل أن محاولاتـه للاتصال لا تُفهَـم يصاب بخيبة أمـل، وربما كان قصور الطفل عن التعبير عن نفسـه وأن يكون مفهومًا مـن الآخرين، أقوى عامـل مثبط فى حياة الطفل المعـوق ذهنيا والقابل للتدريب.. وعلى ذلك فإن الاتصال بالآخرين يصبح أهم هدف فى البيت وفى المدرسة معا.

وإذا فشل الطفل فى الاتصال بالآخرين، فإنه يعبر عن توتره النفسى عن طريق الحركة البدنية. والمشـكلة التى تواجه الوالدين والمدرس هى أن يحولوا الحركة الجسمية إلى وسيلة للاتصال.

أنواع الحركات لدى الطفل المعوق ذهنيا والقابل للتدريب :

١ – الحركات البسيطة لجسم الطفل: كالقفز. والإهتزاز. والتأرجح، وتحريك الذراع أو الأرجل.

٢ – التنقل من مكان إلى آخر فى أرجاء الغرفة.

٣ – الحركات التى يسـتخدم فيها جسمًا ما كما يشاهد فى القذف، واللعب بالكرة وبناء المكعبات.

٤ – حركـة موجهة إلى الطفل نفسـه: كالخدش. وتمزيق الملابس. وشد الشعر.

علامات استجابة الطفل المعوق ذهنيا للتكيف الاجتماعى:

١ – حين يستطيع التعامل مع الآخرين.

٢ – أن يمـارس عـادات حسـنة فـى ميـدان العمـل، وأن يتبـع التعليمات.

٣ – أن يعتنى بمظهره، وأن يحظى بثقة الناس. وأن يبلغ مستوى لائقا فى العناية بنفسه.

٤ – أن يتبع القواعد الصحية الشخصية.

ولكن قبل أن يحقق هذه الأهداف ، ينبغى أن يكون قادرا على الاتصال بالآخرين.

وسائل اتصال الطفل المعوق ذهنيا بالعالم الخارجى

١ – المدرس الحاذق يدرك أن أى قدر من الكلام أو القراءة لن يكون فعالا فى تعلم الطفل المعوق ذهنيا، مثل لمس الطفل لشىء محسوس أو إشراكه بنفسه فى موقف ما، ذلك أن لمس الطفل المائدة أو مشاهدته قطرات المطر تتناثر على النافذة أكثر معنى بكثير من رؤيته صورة فى كتاب أو حتى سماعه وصف هذه الصورة من شخص بالغ.

ويستخدم المدرس كل موقف يعبر فيه الطفل عن اهتمامه به لخلق تجربة تعليمية.

٢ – الرحلات تزود الأطفال المعوقين ذهنيا والقابلين للتدريب بإمكانيات لا مثيل لها ليتعلموا كيف يعيشون فى المجتمع ومع غيرهم من الناس.

وبوسعهم القيام برحلات إلى المتنزهات وإلى حديقة الحيوانات.. الخ.

كما يستطيعون مراقبة كناس الشارع، وساعى البريد، ورجل الشرطة فى عملهم.

٣ – قيـام الطفل المعوق ذهنيا والقابل للتدريب بدور سـائق أتوبيس أو بناء محطة سكة حديد بالمكعبات أو رسم للمزرعة التى زارها..

هذه هى الوسـائل التى يستطيع بها التعبير عن نفسه، وبذلك ينشأ الطفل نافعا، قادرا على الاتصال بالآخرين بطريقته الخاصة.

□□□